٣١ ـ المقتفي لأمر الله

هو أبو عبد الله الحسين المقتفي لأمر الله ابن المستظهر، اختاره السلطان مسعود للخلافة بعد أن كتب محضر بخلع ابن أخيه الراشد من الخلافة وكانت بيعته في ثامن ذي الحجة (سنة ٥٣٠) (٧ سبتمبر سنة ١١٣٦) واستمر في الخلافة إلى أن توفي ثاني ربيع الأول (سنة ٥٥٥) (١٢ مارس سنة ١٦٠) فكانت خلافته (٢٤ سنة وثلاثة أشهر و١٦ يوماً) وكان عمره إذ توفي (٦٦ سنة).

ولما بايع السلطان المقتفي صاهره فزوجه أخته فاطمة على صداق مائة ألف دينار وبذلك أمن السلطان أن يكون الخليفة ضده. وقد حاول الخليفة المعزول أن يعيد لنفسه الخلافة فاتحد مع الملك داوود ابن السلطان محمود ولكنه مع ما بذله من المجهود العظيم لم ينجح فقد ائتمر به جماعة من الباطنية فسقوه الردى بنواحي أصفهان.

استمر السلطان مسعود في سلطانه مع كثرة المخالفين والخارجين عليه من أهل بيته ومن أمرائه إلى أن توفي (سنة ٥٤٧) بهمذان وذلك على رأس مائة سنة من الخطبة ببغداد للسلطان طغرلبك، وماتت مع مسعود سعادة البيت السلجوقي فلم تقم له بعده راية يعتد بها ولا يلتفت إليها. وكان رحمه الله حسن الأخلاق كثير المزاح والتبسط مع الناس وكان كريماً عفيفاً عن أموال الرعية حسن السيرة فيهم. من أصلح السلاطين سيرة وألينهم عريكة سهل الأخلاق وكان مسعود قد عهد بالسلطنة بعده لابن أخيه ملكشاه ابن السلطان محمود.

أما الخليفة فإنه لما بلغه وفاة مسعود طرد شحنة السلجوقية بها وأخذ داره ودور أصحاب السلطان ببغداد وأخذ كل مالهم فيها وكل من عنده وديعة لأحد منهم أحضرها بالديوان وجمع الرجال والعساكر وأكثر التجنيد وتقدم بإراقة الخمور من مساكن أصحاب السلطان وأرسل جنوده فاستولت على سائر البلاد العراقية الحلة وواسط وغيرها وخرج بنفسه ليقوي جنده.

أصبح ذلك الملك العظيم الذي أسسه طغريل بك وإخوته ورفع بنيانه ملكشاه أصبح نهباً تقاسمته دول شتى تعرف بالدولة الأتابكية وها نحن أولاء نقتص حديثها.

الأتابكية

من الدول التركية التي زاحمت دولة السلاجقة وسامتها الدولة الأتابكية وبيوتها شتى لا تنتهي إلى نسب واحد إلا أنها يجمعها الاتصال بالبيت السلجوقي. وأتابك كلمة تركية معناها مربي الملك فكان آل سلجوق إذا امتاز أحد قوادهم بهذا الامتياز أطلقوا عليه هذا اللقب واستحق به أعلى درجات التكريم والاحترام.

وقد وصل بعض هؤلاء الأتابكية إلى درجة الملك في بعض الأقاليم الإسلامية وأورثوا أبناءهم ملكهم ويطلق على هؤلاء الأسر الأتابكية ومعهم دول ينتسبون أيضاً إلى ولاء السلاجقة ولا يلقبون بهذا اللقب بل بلقب شاهات وسنسوق أخبارها بالإجمال حسب ترتيب ظهورها.

١ ـ شاهات خوارزم

ينسبون إلى محمد بن أنوشتكين وكان أبوه أنوشتكين مملوكاً لأمير من أمراء السلجوقيين اسمه بلكباك اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشمه فكبر وعلا أمره وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف وكان مقدماً مرجوعاً إليه وولد له ولد سماه «محمد» وهو باني هذا البيت علمه أبوه وخرجه وأحسن تأديبه وتقدم بنفسه بالعناية الإلّهية فولاه الأمير حبشي قائد بركياروق خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر أوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب أهل العلم والدين فازداد ذكره حسناً ومحله علواً. ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمد خوارزمشاه على خوارزم وعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره. ولم يزل على جلالة القدر والكفاية إلى أن توفي (سنة ٥٢١) فولي بعده ابنه أتسز فقربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهادة فزاده تقدماً وعلواً ورسخت أقدام هذا البيت في الملك وقد استمر إلى (سنة ٦٢٨) حيث زال على أيدي التتر الذين هاجموا البلاد الإسلامية بزعامة جنكيزخان كما سيأتي توضيحه، وهذا ثبت ملوك الخوارزمشاهية.

١ ـ بكتكين ..... ٤٧٠ ـ ٤٩٠
٢ ـ قطب الدين محمد بن أنوشتكين ..... ـ ٥٢١
٣ ـ أتسز بن محمد ..... ـ ٥٥١
٤ ـ أرسلان بن أتسز ..... ـ ٥٦٨
٥ ـ سلطان شاه محمود بن أرسلان ..... ـ ٥٦٨
٦ ـ تكش بن أرسلان ..... ـ ٥٩٦
٧ ـ علاء الدين محمد بن تكش ..... ـ ٦١٧
٨ ـ جلال الدين منكبرتي بن محمد ..... ـ ٦٢٨

وعلى يد هذه الدولة انقضت دولة السلاجقة بخراسان وما إليها من بلاد الري والجبل وما وراء النهر.

٢ ـ الدولة الأرتقية

تنسب هذه الدولة إلى أرتق بن أكسب التركماني وهو مملوك من مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي وقائد من قواده.

وأول من أسس هذا البيت معين الدولة سقمان بن أرتق استولى على حصن كيفا (سنة ٤٩٥) من يد الأمير موسى التركماني في عهد السلطان بركياروق بن ملكشاه ثم ضمّ إليها ماردين.

وفي (سنة ٦٠٢) انقسمت هذه المملكة الصغيرة إلى مملكتين إحداهما بالحصن والثانية بماردين فأما مملكة الحصن فاستمرت إلى (سنة ٦٢٠) وانتهت على أيدي الأيوبيين ـ وأما مملكة ماردين فاستمرت إلى (سنة ٨١١) أي بعد ظهور آل عثمان بمائة وإحدى عشرة سنة وانتهت على يد قره قيونلى وهذه أسماء ملوك الحصن.

١ ـ معين الدولة سقمان بن أرتق ..... ٤٩٥ ـ ٤٩٨
٢ ـ إبراهيم بن سقمان ..... ـ ٥٠٢
٣ ـ ركن الدين داوود بن سقمان ..... ـ ٥٤٣
٤ ـ قمر الدين قره أرسلان بن داوود ..... ـ ٥٧٠
٥ ـ نور الدين محمد بن أرسلان ..... ـ ٥٨١
٦ ـ قطب الدين سقمان بن محمد ..... ـ ٥٩٧
٧ ـ ناصر الدين محمود بن محمد ..... ـ ٦١٩
٨ ـ ركن الدين مودود بن محمود ..... ـ ٦٢٠

وهذه أسماء ملوك ماردين:

١ ـ نجم الدين غازي بن أرتق ..... ٥٠٢ ـ ٥١٦
٢ ـ حسام الدين تيمور تاش بن غازي ..... ـ ٥٤٧
٣ ـ نجم الدين ألبى بن تيمور تاش ..... ـ ٥٧٢
٤ ـ قطب الدين غازي بن ألبى ..... ـ ٥٨٠
٥ ـ حسام الدين يولق بن أرسلان بن غازي ..... ـ ٥٩٧
٦ ـ ناصر الدين أرتق أرسلان بن غازي ..... ـ ٦٣٧
٧ ـ نجم الدين غازي بن أرتق أرسلان ..... ـ ٦٥٨
٨ ـ قره أرسلان بن غازي ..... ـ ٦٦١
٩ ـ شمس الدين داوود بن قره أرسلان ..... ـ ٦٩٣
١٠ ـ نجم الدين غازي بن قره أرسلان ..... ـ ٧١٢
١١ ـ شمس الدين صالح بن غازي ..... ـ ٧٦٥
١٢ ـ المنصور أحمد بن صالح ..... ـ ٧٦٩
١٣ ـ الصالح محمود بن أحمد ..... ـ ٧٦٩

١٤ ـ المظفر داوود بن صالح ..... ـ ٧٧٨
١٥ ـ الظاهر مجد الدين عيسى بن داوود ..... ـ ٨٠٩
١٦ ـ صالح بن داوود ..... ـ ٨١١
وصالح هذا آخر ملك من موالي السلجوقيين.

٣ ـ أتابكية دمشق

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٤٩٧) وأول ملوكها سيف الإسلام ظهير الدين ظغتكين وأصله مملوك للملك تتش بن ألب أرسلان أول سلاجقة سوريا ثم صار من قواده الذين يعتمد عليهم وكان أتابك ولده دقاق. وبعد قتل تتش استمر مع ولده دقاق وكان سنده وظهيره فلما توفي دقاق (سنة ٤٩٨) خطب أتابك لولد له صغير وجعل اسم المملكة فيه سنة واحدة ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل وله من العمر (١٢ سنة) وأشار عليه أن يقصد الرحبة فقصدها فملكها ولما عاد منها منعه طغتكين من دخوله دمشق وأعاد خطبة الطفل ولد دقاق. وقد حاول بكتاش أن يسترد ملكه واستعان على ذلك بملك الإفرنج في القدس فلم ينجح واستمر ملك دمشق لطغتكين فأحسن إلى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سروراً كثيراً وقد استمر الملك في عقبه (٥٢ سنة) وانتهى على يد آل زنكي (سنة ٥٤٩) وهذا ثبت ملوكهم:

١ ـ سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين ..... ٤٩٧ ـ ٥٢٢
٢ ـ تاج الملوك بورى ..... ـ ٥٢٦
٣ ـ شمس الملوك إسماعيل ..... ـ ٥٢٩
٤ ـ شهاب الدين محمود ..... ـ ٥٣٣
٥ ـ جمال الدين محمود ..... ـ ٥٣٤
٦ ـ مجير الدين أبق ..... ـ ٥٤٩

٤ ـ أتابكية الموصل

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٥٢١) وتنسب إلى عماد الدين زنكي بن أق سنقر وكان أق سنقر مملوكاً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وكان معدوداً من كبار القواد جعله ملكشاه من قواد أخيه تتش ولما ملك حلب استنابه فيها ثم التحق بالسلطان بركياروق بعد وفاة ملكشاه وسار في خدمته وكان تتش يمني نفسه بملك العراق فجهز الجيوش ليسطو عليها فأرسل بركياروق إليه الجنود عليهم أق سنقر فالتقى الفريقان عند نهر سبعين قريباً من تل السلطان بينه وبين حلب

سنة فراسخ واقتتلوا فانهزم من مع أق سنقر وثبت هو فأسر ثم قتل صبراً وكان أحسن الأمراء سياسة وحفظاً لرعيته.

وقد نشأ ابنه أتابك عماد الدين زنكي في كهف الدولة السلجوقية واهتم به ملوكهم لما لأبيه من الأيدي البيضاء في حفظ بيتهم ولأنه قتل في الدفاع عنهم فنشأ نشأة عالية ذا همة مقداماً وكانوا يستعينون به في مهماتهم فيكفيهم إياها وما زال ينبه ذكره وتقوى همته حتى ولاه السلطان محمود مدينة الموصل (سنة ٥٢١) ليقوم بحفظها وإصلاح شأنها وجعله أتابك ولده فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيه.

أظهر زنكي في ولايته كفاية وقوه وصلاحاً وكان له في جهاد الصليبيين همة لا تزال تذكر له وهو رأس الأتابكية من بيت زنكي. وقد انقسمت إلى أربعة دول.

الأولى أتابكية الموصل وهذا ثبت ملوكها.

١ ـ أتابك عماد الدين زنكي ..... ٥٢١ ـ ٥٤١
٢ ـ سيف الدين غازي بن زنكي ..... ـ ٥٤٤
٣ ـ قطب الدين مودود بن زنكي ..... ـ ٥٦٥
٤ ـ سيف الدين غازي بن مودود ..... ـ ٥٧٦
٥ ـ عز الدين مسعود بن مودود ..... ـ ٥٨٩
٦ ـ نور الدين أرسلانشاه بن مسعود ..... ـ ٦٠٧
٧ ـ عز الدين مسعود بن أرسلانشاه ..... ـ ٦١٥
٨ ـ نور الدين أرسلانشاه بن مسعود ..... ـ ٦١٦
٩ ـ نصير الدين محمود بن مسعود ..... ـ ٦٣١
١٠ ـ بدر الدين لؤلؤ ..... ـ ٦٥٧
١١ ـ إسماعيل بن لؤلؤ ..... ـ ٦٦٠

وبدر الدين لؤلؤ من هذا البيت بل هو مولاهم استقل بأمر الملك بعد سيده نصير الدين محمود وقد انتهت هذه الدولة على يد المغول.

٥ ـ أتابكية سوريا

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٥٤١) وهي السنة التي قتل فيها عماد الدين زنكي فإن مملكته انقسمت بين ولديه سيف الدين غازي الذي ملك الموصل ومحمود نور الدين الذي ملك حلب وانتهت (سنة ٥٧٧) على أيدي الأيوبيين ولم يكن منها إلا ملكان أحدهما محمود نور الدين بن

زنكي والثاني الصالح إسماعيل بن محمود. ومحمود نور الدين هذا هو أستاذ صلاح الدين يوسف بن أيوب والرجلان كلاهما له القدم الثابتة في جهاد الصليبيين.

٦ ـ أتابكية سنجار

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٥٦٦) بعد وفاة قطب الدين مودود صاحب الموصل فإن بلاده انقسمت بين ولديه سيف الدين غازي بن مودود الذي كان ولي عهد أبيه وهو أصغر الأخوين وهذا ملك الموصل والثاني عماد الدين زنكي ابن مودود وهذا ملك سنجار وما معها بواسطة عمه نور الدين محمود وانتهت هذه الدولة (سنة ٦١٧) على أيدي الأيوبيين وهذا ثبت ملوكها:

١ ـ عماد الدين زنكي بن مودود ..... ٥٦٦ ـ ٥٩٤
٢ ـ قطب الدين محمد بن زنكي ..... ـ ٦١٦
٣ ـ عماد الدين شاهنشاه ..... ـ ٦١٦
٤ ـ عمر ..... ـ ٦١٧

٧ ـ أتابكية الجزيرة

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٥٧٦) بعد وفاة سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل فإن بلاده انقسمت بين ولديه عز الدين مسعود وهو الأكبر وهذا ملك الموصل والثاني سنجر شاه بن مسعود وهذا ملك جزيرة ابن عمر وقد بقيت في يد أولاده إلى (سنة ٦٤٥) حيث أخذها الأيوبيين والذين تولوها هم:

١ ـ معز الدين سنجرشاه ..... ٥٧٦ ـ ٦٠٥
٢ ـ معز الدين محمود بن سنجرشاه ..... ـ ٦٤٨
٣ ـ مسعود بن محمود ..... ـ ٦٤٨

٨ ـ أتابكية إربل

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٥٣٩) أسسها زين الدين علي كجك بن بكتكين وهو مملوك تركماني لعماد الدين زنكي جعله أتابك ولده قطب الدين مودود وقد فتح بلاداً كثيرة في بدء الدولة الزنكية كان بيده مهنا سنجار وحران وقلعة عقر الحميدية وقلاع الهكارية وتكريت وشهرزور وغيرها واستمر كذلك إلى (سنة ٥٦٣) وقبل أن يموت سلم جميع ما بيده إلى قطب الدين مودود ولم يبق له سوى إربل فسار عن الموصل وأقام بها وفي هذه السنة توفي فولي بدله ابنه زين الدين أبو المظفر يوسف وهو الصغير تعصب له مجاهد الدين قايماز وكان أخوه الأكبر مظفر الدين كوكبوري فحاول أن يكون بدل أبيه فلم يحصل على بغيته فسار إلى الموصل وملكها يومئذ

سيف الدين غازي بن مودود فأقطعه حران فأقام بها مدة ثم انتقل إلى خدمة صلاح الدين يوسف فحظي عنده وتمكن منه وزاد صلاح الدين في أقطاعه الرها وزوجه أخته وقد حضر معه كثيراً من مشاهده وأظهر نجدة وعزيمة فلما توفي أخوه يوسف (سنة ٦٨٣) رده صلاح الدين إلى ملكه بإربل فاستقر فيه إلى أن مات (سنة ٦٣٠) وأوصى ببلاده قبل موته للخليفة العباسي فبقيت بأيدي العباسيين إلى أن جاء المغول فأخذوها فيما أخذوا.

٩ ـ أتابكية أذربيجان

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٥٣٦) ومؤسسها هو الأمير إيلدكز وكان مملوكاً للكمال السميري وزير السلطان محمود السلجوقي فلما قتل الكمال سار إيلدكز إلى السلطان محمود. ولما ولي السلطان مسعود السلطنة ولاه أرانية فمضى إليها ولم يعد يحضر عند السلطان مسعود ولا غيره. ثم ملك أكثر أذربيجان وبلاد الجبل وهمذان وغيرها وأصفهان والري وما إليهما من البلاد وخطب بالسلطنة لأرسلانشاه بن طغرل وهو ربيبه وكان عسكره خمسين ألف فارس سوى الأتباع واتسع ملكه من باب تفليس إلى مكران ولم يكن للسلطان أرسلان معه حكم إنما كانت له جراية تصل إليه وكان إيلدكز عاقلاً حسن السيرة يجلس بنفسه المرعية ويسمع شكواهم وينصف بعضهم من بعض وهذا ثبت ملوك هذا البيت:

١ ـ شمس الدين إيلدكز ..... ٥٣١ ـ ٥٦٨
٢ ـ محمد البلهوان جهان بن إيلدكز ..... ـ ٥٨١
٣ ـ قزيل أرسلان عثمان بن إيلدكز ..... ـ ٥٨٧
٤ ـ أبو بكر بن محمد ..... ـ ٦٠٧
٥ ـ مظفر الدين أزبك بن محمد ..... ـ ٦٢٢

وقد انتهت دولتهم على أيدي شاهات خوارزم.

١٠ ـ أتابكية فارس (الدولة السلغرية)

ابتدأت هذه الدولة بفارس (سنة ٥٤٣) وتنسب إلى سلغر أحد قواد التركمان في عهد السلاجقة وكانت نهايتها (سنة ٦٨٦) على أيدي المغول وهذا ثبت ملوكها:

١ ـ سنقر بن سلغر ..... ٥٤٣ ـ ٥٥٧
٢ ـ زنكي بن سنقر ..... ـ ٥٨١
٣ ـ دكلا بن زنكي ..... ـ ٥٩١
٤ ـ سعد بن زنكي ..... ـ ٦٢٣

٥ ـ أبو بكر بن سعد ..... ـ ٦٥٨
٦ ـ محمد بن سعد ..... ـ ٦٦٠
٧ ـ محمد شاه بن محمد ..... ـ ٦٦٠
٨ ـ سلجوقشاه بن سلغر بن سعد ..... ـ ٦٦٠
٩ ـ أبيش بن سعد بن أبي بكر ..... ـ ٦٨٦

١١ ـ أتابكية لورستان (الهزار سبية)

ابتدأت هذه الدولة (سنة ٥٤٣) وهي من فروع الدولة السلغرية أتابكية فارس أسسها أبو طاهر أحد قوادهم وهذا ثبت ملوكهم:

١ ـ أبو طاهر بن محمد ..... ٥٤٣ ـ ٦٠٠
٢ ـ نصرة الدين هزارسب بن أبي طاهر ..... ـ ٦٥٠
٣ ـ دكلا بن هزارسب ..... ـ ٦٥٧
٤ ـ شمس الدين ألب أرغو بن هزارسب ..... ـ ٦٧٣
٥ ـ يوسف شاه الأول بن ألب أرغو ..... ـ ٦٨٧
٦ ـ أفراسياب الأول بن يوسف ..... ـ ٦٩٦
٧ ـ نصرة الدين أحمد بن ألب أرغو ..... ـ ٧٣٣
٨ ـ ركن الدين يوسف شاه الثاني بن أحمد ..... ـ ٧٤٠
٩ ـ مظفر الدين أفداسياب الثاني بن يوسف شاه ..... ـ ٧٥٦
١٠ ـ شمس الدين هوشانج بن أفرسياب الثاني ..... ـ ٧٨٠
١١ ـ أحمد ..... ـ ٨١٥
١٢ ـ أبو سعيد ..... ـ ٨٢٠
١٣ ـ حسين ..... ـ ٨٢٧
١٤ ـ غياث الدين

وقد انتهت هذه الدولة على أيدي الدولة التيمورية.

شاهات أرمينية

ابتدأت دولتهم (سنة ٥٨٣) ومؤسسها هو الأمير سقمان القطبي بمدينة خلاط وكان مملوكاً لقطب الدين إسماعيل السلجوقي صاحب مدينة من أذربيجان ومن ثم قيل له القطبي نشأ شهماً كافياً وكانت خلاط لبني مروان وظلموا واشتهر عدل سقمان فاتفق أهل خلاط وكاتبوه فجاء

وفتحوها له وسلموها إليه وهذه أسماء الملوك من هذا البيت.

١ ـ سقمان القطبي ..... ٤٩٣ ـ ٥٠٦
٢ ـ ظهير الدين إبراهيم شاه أومن ..... ـ ٥٢١
٣ ـ أحمد ..... ـ ٥٢٢
٤ ـ ناصر الدين سقمان ..... ـ ٥٧٩
٥ ـ سيف الدين بكتيمور ..... ٥٧٩ ـ ٥٨٩
كان مملوكاً لهم وهو صاحب ميافارقين
٦ ـ بدر الدين أق سنقر ..... ٥٨٩ ـ ٥٩٤
اسمه هزار ديناري وهو مملوك أق سنقر وزوج ابنته
٧ ـ المنصور محمد بن بكتيمور ..... ٥٩٤ ـ ٦٠٣
٨ ـ عز الدين بلبان ..... ـ ٦٠٤
وقد انتهت دولتهم على أيدي الأيوبيين.

الدولة الغورية

مما يضاف إلى الدول التي حدثت في هذا العهد الدولة الغورية وهي دولة قامت على أطلال الدولة السبكتكينية. تنسب هذه الدولة إلى مكان نشأتها وهو الغور وهو جبال وولاية بين هراة وغزنة وهي بلاد باردة واسعة موحشة وهي مع ذلك لا تنطوي على مدينة وأكبر ما فيها قلعة يقال لها فيروزكوه قام بهذه البلاد آل سام من (سنة ٥٤٣) وملكوه ما كان يملكه آل سبكتكين من بلاد الغور وأفغان والهند ولم يزل ملكهم قائماً إلى (سنة ٦١٢).

وأول من قام من هذا البيت قطب الدين محمد بن الحسين ملك بلاد الغور وصاهر بهرامشاه مسعود بن إبراهيم صاحب غزنة فعظم شأنه بهذه المصاهرة وعلت همته فعاجله بهرامشاه قبل أن يكون منه حدث عظيم فقتله فعظم قتله على الغورية وولوا بعده أخاه سيف الدين سوري بن الحسين فقوي أمره وتمكن في ملكه فجمع عسكراً كثيراً وسار إلى غزنة طالباً بثأر أخيه فلما وصل غزنة ملكها وهرب عنها بهرامشاه إلى الهند فجمع جموعاً كثيرة وعاد إلى غزنة وهو أهلها معه فخرج سوري إلى لقائه فلما تصاف العسكران أسلم سوري جنوده فقهره بهرامشاه وصلبه واستعاد ملك غزنة (سنة ٥٤٤) وكان سوري أحد الأجواد له الكرم الغزير والمروءة العظيمة.

اختار الغورية بعده أخاه علاء الدين حسين بن الحسن ولقبه جهان سوز فأعاد الكرة على غزنة (سنة ٥٥٠) وملكها وأخرج عنها بهرامشاه واستعمل عليها أخاه سيف الدين محمداً وأجلسه

على تخت المملكة وخطب لنفسه ولأخيه سيف الدين من بعده وتلقب علاء الدين بالسلطان المعظم وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية.

ومات علاء الدين (سنة ٥٥٦) فملك بعده غياث الدين محمد بن بهاء الدين سام بن الحسن وكان عضده الأقوى أخوه شهاب الدين وقد حسنت سيرتهما وقويت جموعهما فملكا بلاد الغور والأفغان والهند وعلى يدهما انقرض ملك آل سبكتكين (سنة ٥٨٢) بعد أن ملكوا (٢١٣ سنة) تقريباً.

ولما عظم ملك الغوريين وكثرت عساكرهم وأموالهم خطب لغياث الدين وتلقب بألقاب السلاطين وكان يدعى له على المنابر غياث الدين والدنيا معين الإسلام قسيم أمير المؤمنين.

وامتد ملك غياث الدين وأخيه على معظم بلاد خراسان ومعظم بلاد الهند تيسر لهما فتح الكثير منها وتدويخ ملوكها وقد بلغا منها ما لم يبلغه أحد قبلهما من ملوك المسلمين وجعل مدينة دهلي كرسي الممالك التي فتحها من بلاد الهند وأقطعها مملوكه قطب الدين أيبك وقطب الدين هذا هو مؤسس بيت سلاطين دهلي الذين استمر ملكهم من (سنة ٦٠٢) وهي السنة التي توفي فيها شهاب الدين الغوري إلى (سنة ٦٨٦) وهذا ثبت ملوك هذا البيت:

١ ـ أيبك قطب الدين ..... ٦٠٢ ـ ٦٠٧
٢ ـ أرم شاه ..... ـ ٦٠٨
٣ ـ التمش شمس الدين ..... ـ ٦٣٣
٤ ـ فيروزشاه الأول ركن الدين ..... ـ ٦٣٤
٥ ـ رضيا ..... ـ ٦٣٨
٦ ـ بهرام شاه معز الدين ..... ـ ٦٣٩
٧ ـ مسعود شاه علاء الدين ..... ـ ٦٤٤
٨ ـ محمود شاه الأول نصر الدين ..... ـ ٦٦٤
٩ ـ بلبن غياث الدين ..... ـ ٦٨٦
١٠ ـ كيقباذ معز الدين

وغياث الدين الغوري وأخوه شهاب الدين معدودان من ملوك الهند العظام والدولة الغورية هي ثاني مملكة هندية بعد الدولة السبكتكينية.

وفي عهد المقتفي حصلت الحرب الصليبية الثانية وسببها أن الإفرنج بالشام رأوا من محمود نور الدين ما هالهم فقد استولى على كثير من معاقلهم وحصونهم فقرروا طلب الإعانة والنجدة من

البابا أوجانيوس الثالث وأرسلوا لذلك رسلاً أقامت عباراتهم الشديدة البابا وأقعدته وحركت من نفسه الغيرة وخشي أن يكون سلفه أسبق إلى الفوز منه فأرسل دعاته إلى فرنسا وملكها لويز السابع فأجاب الداعية وكان أعظم مؤثر فيهم ما أخبروا به من سقوط مملكة الرها بين يدي المسلمين وأرسلت الدعاة أيضاً إلى ألمانيا وملكها كونراد الثالث فأجاب الداعية أيضاً وكان لهذين الملكين الزعامة على جيوش هذه الحرب الثانية.

وقد وصل إلى القسطنطينية أولاً الملك كونراد الثالث بجيشه وكان ملكها عمانويل اليكسيوس الأول وكان يخاف من الصليبيين على مملكته فكاد لهم المكايد ثم تلاه لويس السابع بجيوشه.

ذهب الألمان أولاً مجتازين بلاد قرنية بلاد السلاجقة فلقيهم هؤلاء بحروب شديدة كسرت حدتهم وقتلت أكثرهم وجعلت زعيمهم يرتد خائباً كسيراً حتى قابل الجيوش الفرنسية فسار معهم بفلول جيشه حتى وصلوا إلى القدس بعد أن ذاقوا من العذاب ألواناً وذلك (سنة ٥٤٢) وبعد أن زاروا المدينة المقدسة قرروا الذهاب إلى مدينة دمشق والاستيلاء عليها وكان صاحبها إذ ذاك آخر الدولة الأتابكية وهو مجير الدين أبق ابن محمد بن بوري بن طغتكين والأمر في دولته لمولاه معين الدين أنز. سار الملكان بجنودهما ومعهما جنود إفرنج الشام حتى وصلا دمشق (سنة ٥٤٣) وحاصروها فزحف إليهم أهل البلد مجدين في ردهم وأبلوا بلاء حسناً. وكان معين الدين قد أرسل يستنجد بسيف الدين غازي صاحب الموصل فأجاب الداعي وأقبل حتى أتى حلب واستصحب منها أخاه محموداً نور الدين وسارا حتى أتيا حمص ولما علم الصليبيون بذلك خافوا أن يقعوا بين نارين فرحلوا عن دمشق خائبين ورجعوا إلى بلادهم من غير أن يحدثوا أثراً وفي (سنة ٥٤٩) استولى محمود نور الدين على دمشق.

هذه هي الدول التي ورثت ملك السلاجقة العظيم.

نعود الآن إلى بيان الحال بعد وفاة السلطان مسعود قلنا إنه كان عهد إلى ابن أخيه ملكشاه وخطب له فعلاً ولكن أحد قواد أبيه المعروف بخاص بك أرسل إلى الملك محمد بن محمود وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده أن يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة فسار الملك محمد إليه فلما وصل أجلسه على تخت السلطنة وخطب له بها وخدمه وبالغ في خدمته وحمل له هدايا عظيمة جليلة المقدار ثم إنه دخل إلى الملك محمد ثاني يوم وصوله فقتله محمد ولم ينتطح في قتله عنزان واستقر محمد في السلطنة وأرسل إلى الخليفة يطلب أن يخطب له ببغداد والعراق فامتنع من إجابته إلى ذلك فسار من همذان في عساكر كثيرة نحو العراق ووصل إليها في ذي الحجة (سنة ٥٥١) وقد اهتم الخليفة ووزيره بأمر الدفاع عن بغداد وفرقا السلاح على الجند

والعامة ونصبت المنجنيقات والعرادات وجرت بين الفريقين عدة حروب واشتد الحصار على أهل بغداد لانقطاع المواد عنهم وكان بعض الذين يساعدون السلطان محمد لا يناصحونه لأجل الخليفة والمسلمين ففتروا وقصروا وبينما هم على تلك الحال ورد خبر إلى السلطان محمد بأن أخاه ملكشاه بن محمود ومعه إيلدكز صاحب بلاد أران والملك أرسلان بن طغرل قد دخلوا همذان واستولوا عليها وأخذوا أهل الأمراء الذين مع محمد أموالهم فلما سمع ذلك محمد جد في القتال لعله يبلغ مناه فلم يقدر على شيء ورحل عنها نحو همذان في أواخر ربيع الأول (سنة ٥٥٢) ولما قارب همذان خرج منها خصومه خائبين خائفين.

استقر محمد في دار ملكه بأصفهان وصار العراق للخليفة لا يشركه فيه أحد وكانت وفاة السلطان محمد والخليفة المقتفي في زمنين متقاربين فأما محمد فإنه توفي بهمذان (سنة ٥٥٤) وقد اختلف قواده بعد موته اختلافاً كثيراً فطائفة طلبوا أخاه ملكشاه وطائفة طلبوا عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه وهم الأكثر وطائفة طلبوا أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه وأخيراً تم الأمر لأرسلان بن طغرل بواسطة المقدم إيلدكز وكان هذا السلطان ربيبه.

أما الخليفة المقتفي لأمر اللّه فإنه توفي ثاني ربيع الأول (سنة ٥٥٥) وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه من أول أيام الديلم إلى الآن وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم عسكره وأصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المنتصر إلى الآن إلا أن يكون المعتضد وكان شجاعاً مقداماً مباشراً للحروب بنفسه وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في البلاد حتى كان لا يفوته منها شيء وكان حليماً كريماً عادلاً حسن السيرة من الرجال ذوي الرأي والعقل الكبير.

٣٢ ـ المستنجد باللّه

هو أبو المظفر يوسف المستنجد باللّه بن المقتفي لأمر اللّه وأمه أم ولد اسمها طاووس رومية ولد (سنة ٥٥٥) وبويع بالخلافة عقب وفاة والده واستمر خليفة إلى أن مات في تاسع ربيع الآخر (سنة ٥٦٦).

فكانت خلافته (١١ سنة) وشهراً وأسبوعاً.

المستنجد معدود من خيرة الخلفاء العباسيين ومن مآثره أنه لما ولي أزال المكوس والمظالم ولم يترك بالعراق منها شيئاً وكان شديداً على أهل العبث والفساد والسعاية بالناس قبض مرة على خبيث كان يسعى بالناس فأطال حبسه فشفع فيه بعض أصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال الخليفة أناأعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر إلي إنساناً آخر مثله لأكف شره عن